حياة الملك

خالد بن عبدالعزيز آل سعود

في خدمة الإسلام

أ. د. أحمد بن يوسف الدريويش
وكيل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية لشؤون المعاهد العلمية

إن الأمم الواعية تعنى عناية خاصة بالقدوة من أبنائها، فتسجل سيرهم وتبرز الصفحات الحميدة من حياتهم، تقديرًا لهم ووفاءً بحقهم، وحثًّا للأجيال التالية على الاقتداء بهم.

وقد شاعت الكتابة عن سير الخلفاء والملوك والسّلاطين والأمراء منذ القِدَم، وغالب من تصدّى لذلك أعلام عاصروا دولهم، وشهدوا من أحوالهم مدة الحكم ما دعاهم إلى تدوين سيرهم وأخبارهم، ولا نعلم أمّة اهتمّت بأخبار ملوكها وسيرهم وأحوالهم في سياسة الرّعيّة كما فعلت الأمّة الإسلاميّة، والنّاظر في المكتبة التّراثيّة يلمح كثرة المصنّفات المفردة في هذا الباب، ومقالنا هذا دراسة خاصة عن جهود الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود (رحمه الله) في خدمة الإسلام، فقد كان (رحمه الله) نسيج وحده تمثل ذلك في رجاحة عقله، وسماحة نفسه، ورقة طبعه، وخوفه الدائم من

الله، وحرصه على وطنه وأمته ودينه، (رحمه الله) رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى.

أسباب اختيار الكتابة في هذا الموضوع:

أوّلاً : تجديد ذكرى ملك حظي بمكانة رفيعة في نفوس النّاس.

ثانيًا: اقتفاء سيرة ملك صالح، قاد - بحكمة واقتدار - دفّة بلاد مترامية الأطراف.

ثالثًا: تحقيق أدنى واجب تجاه ملك قدّم الكثير لدينه ثمّ لوطنه ولشعبه.

رابعًا: إثبات ما عليه ولاة هذه البلاد المباركة من الاستمساك بأحكام الإسلام وتعاليمه وآدابه.

خامسًا: التّواصي على مواصلة الجهد لخدمة دين الإسلام.

إن المتأمل في حياة الملك خالد (رحمه الله) يرى جوانب مشرقة وجهودًا مباركة تجاه الإسلام وأهله، تمثلت في خدمة كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والعلم النابع منهما، والدعوة إليهما، والقيام على خدمة الإسلام والمسلمين داخل المملكة وخارجها، والقيام على أمر الدولة بحكمة واقتدار.

حياة الملك خالد (رحمه الله):

يعدّ الملك خالد أحد أفراد الأسرة العربيّة العريقة الضّاربة في جذور التّاريخ من آل سعود، الذين قامت على أكتافهم دولة التّوحيد، ورفعوا رايتها خفّاقةً، منذ تأسيسها إلى يوم النّاس هذا.

وقد حظي بنسب عربيّ كريم من جهة أبويه كليهما[١]: فوالده: هو عبدالعزيز بن عبدالرّحمن بن فيصل بن تركي بن عبدالله بن محمّد بن سعود بن محمّد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي.

وهو موحّد المملكة ومؤسس نهضتها الحديثة. ووالدته: هي الجوهرة بنت مساعد بن جلوي بن تركي بن عبدالله بن محمّد بن سعود. تزوّجها الملك عبدالعزيز عام (١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م)، وهي في السّابعة عشرة من عمرها، وقد أسكنها معه في قصر الحكم بالرّياض، وخصّص لها قسمًا كبيرًا منه.

وقد ولد الملك خالد بمدينة الرّياض في شهر ربيع الأوّل من عام ١٣٣١هـ الموافق لشهر فبراير ١٩١٣م، وذلك في أثناء توجّه والده إلى مدينة الأحساء لضمّها إلى الدّولة السّعوديّة الحديثة بعد إجلاء الأتراك عنها، فاقترن مولده بفرحة الأب الغامرة باستعادة الأحساء. وقد سمّاه خالدًا تيمّنًا بالصّحابيّ الجليل والقائد الشّجاع أسد الله خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكانت عادة حميدة في الملك عبدالعزيز حين ينتقي أسماء لأولاده لها دلالات رفيعة ومعان سامية[٢].

ونشأ نشأة صالحة وفّر له والده فيها سبل حفظ الكتاب العزيز، وسهّل له كبار العلماء لينهل من علمهم وأخلاقهم،

(١) للوقوف على نسب الملك خالد (رحمه الله) انظر: عنوان المجد في تاريخ نجد، لابن بشر، ص١٢، ١٣؛ تاريخ المملكة لصلاح الدين المختار، ٥٣٣/٢.

(٢) تاريخ المملكة، لصلاح الدين المختار، ٥٣٢/٢؛ قصر الحكم في الرياض للرويشد، ص٩٥.

ووجّهه إلى إتقان الفروسيّة والرّماية. وشبّ حكيمًا هادئًا، رزينًا شجاعًا، سديدًا في الرّأي، متميّزًا في أخلاقه وحسن معاملته، وتجمّعت له بذلك مزايا الرّجل العادل، والسّياسي المحنّك، والقائد النّاجح. ونهل من حياض العلم أسوة بأسرته من آل سعود، ولقد كان القصر الملكي في عهد الملك عبدالعزيز - طيّب الله ثراه - مقصد العلماء والفقهاء الذين كانوا يعقدون مجالس علميّة فيها درر من فنون العلم وأصنافه، حظي الملك خالد بسماعها وتنمية ثقافته الشّرعيّة، وازداد بعد ذلك إعجابه بالعلماء؛ ممّا حدا به إلى زيارتهم والتّردّد إلى مجالسهم.

ويعدّ الملك عبدالعزيز مدرسة قائمة بنفسها تلقّى فيها الأمير خالد دروسًا عميقةً في الحياة ضمن صحبة طويلة مباركة مع والده المؤسّس دامت اثنين وأربعين عامًا، وهي مدة كان لها أعظم الأثر في نفس الأمير استفادة للعلوم، ومعرفةً بشؤون الحياة، وإلمامًا بفنون السّياسة(٣).

وممّا قوّى ارتباط الملك خالد بالعلم عادة والده المؤسّس الذي كان يتابع التّحصيل العلمي لأولاده، وكان جدّهم عبدالرحمن (رحمه الله) لا يزال حيًّا ونشيطًا، فكان يتأكّد من حضور أحفاده مجالس الدّرس، في أيّام كانت تعقد الدّروس في غرفة طينيّة بسيطة لدى عالم فاضل(٤).

(٣) الجانب الأسري والتربوي في حياة الملك عبدالعزيز، للأميرة نوف بنت عبدالعزيز، مجلة البنات، العدد ١٢، ص٩.

(٤) كتاب المملكة، لروبرت ليسي، ص١٣١.

إنّ حياة الملك خالد التّعليميّة كانت حافلة منذ نعومة أظفاره إلى أن لقي ربّه، نهل في مراحلها المختلفة معارف شتّى كانت نعم المعين له خلال مدة تولّيه قيادة هذه المملكة الحبيبة. فقد عاش الملك خالد في كنف أبيه السّياسي المحنّك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود، وخاض معه تجارب سياسيّة ميدانيّة ساعدته فيما بعد على صقل مواهبه وإدارة شؤون الدّولة باقتدار.

وقضى الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود سبع سنوات مباركة (١٣٩٥ - ١٤٠٢هـ/ ١٩٧٥ - ١٩٨٢م) قائدًا لمسيرة المملكة العربيّة السّعوديّة، أبان فيها عن سياسة فذّة في القيادة، ولم يحد قيد أنملة عمّا كشفه في خطابه التّاريخي حين تولّيه مقاليد الحكم، وهو الخطاب الذي كشف به عن سياسته الدّاخليّة والخارجيّة(٥)، وكان من أهمّ ذلك:

أ - إعلانه ارتباط المملكة بدين الإسلام الذي هو أساس العزّة ووسيلة النّصر.

ب - تأكيده على حَقَّ الشّعب السّعودي في حياة كريمة.

ج - أعلن الملك خالد أنّ المملكة دولة سلام تسعى إلى تثبيته في أرجاء العالم.

د - المسلمون كالجسد الواحد توادًّا وتلاحمًا وتكاتفًا وتضامنًا.

كما قام منذ شبابه بمرافقة والده في عدد من المهمّات الحربيّة التي انتهت بتوحيد المملكة العربيّة السّعوديّة عام

(٥) ألقاه نيابة عنه الملك فهد (رحمه الله) - وكان وليًا للعهد - في ١٣٩٥/٣/٢٠هـ.

١٣٥١هـ. وعهد إليه والده بعدد من المهامّ السّياسيّة كممثّل شخصي له، كما تولّى إمارة مكّة المكرّمة مدة قصيرة. واشترك في بعض الحملات العسكريّة خاصّة قبيل معاهدة الطّائف في عهد أبيه. وعين مستشارًا لأخيه فيصل بن عبدالعزيز عندما كان نائبًا على الحجاز، وقد تولى مسؤولية إدارة إمارة مكة المكرمة نيابة عنه مدة من الزمن. وعيّن مساعدًا لأخيه فيصل في مؤتمر لندن عام ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م، لبحث القضيّة الفلسطينيّة، وباشر كثيرًا من القضايا السّياسيّة المهمّة. ففي عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) أثناء الحرب العالميّة الثانية قام مع أخيه الملك فيصل بزيارة الولايات المتّحدة الأمريكيّة تلبية لدعوة رئيسها فرانكلين روزفلت، حيث اطّلعا على مظاهر النّهضة الأمريكيّة، وفي طريق العودة زارا لندن واجتمعا بالملك جورج السّادس.

وعيّن وليًا للعهد بعد مبايعة فيصل بن عبدالعزيز بالملك، وكان ذلك في ٢٧ ذي القعدة عام ١٣٨٤هـ الموافق ٣٠ مارس ١٩٦٥م، وأصبح النّائب الأوّل لرئيس مجلس الوزراء. وعيّن رئيسًا للوفد السّعودي المفاوض في شأن الخلاف بين السّعودية واليمن عام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م، وذلك في مؤتمر الطّائف الذي تمخّض عنه توقيع معاهدة الطّائف في العام نفسه.

وبويع ملكًا للمملكة العربيّة السّعودية بعد أن استشهد الملك فيصل بن عبدالعزيز يوم الثّلاثاء الثالث عشر من ربيع الأوّل عام ١٣٩٥هـ الموافق ٢٥ مارس ١٩٧٥م، فانتقلت مقاليد

السّلطة إليه، ثمّ اختار أخاه صاحب السّموّ الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز وليًّا للعهد، وبايعه الجميع.

كما تولّى أيضًا رئاسة مجلس الوزراء، وهو مجلس يتمتّع بالصّلاحيات التّنظيميّة والتّنفيذيّة الكاملة، والمسؤوليّات الإداريّة المباشرة، والرّقابة الماليّة على مؤسّسات الدّولة كافّة. ومن أبرز القضايا التي اهتمّ بها الملك خالد بن عبدالعزيز على السّاحة العربيّة والإسلاميّة قضيّة فلسطين.

وناصر الملك خالد جميع القضايا الإسلاميّة، وعمل الكثير في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين، واعترافًا بجهوده في خدمة الإسلام نال جائزة الملك فيصل العالميّة؛ تقديرًا لجهوده في المجالات الإسلامية خصوصًا في حقل التّضامن الإسلامي، ودعوته إلى عقد مؤتمر القمّة الإسلامي الثّالث عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م)، بجوار البيت العتيق في مكّة المكرّمة، حيث اجتمع بزعماء العالم الإسلامي لمناقشة قضايا المسلمين وتوحيد صفوفهم، ورأب الصدع بين الإخوة الأشقّاء، وقد صدر عن هذا اللّقاء الإسلامي المميّز بيان تاريخي اشتهر باسم بيان مكّة التّاريخي. واهتمّ بالسّياسة الداخليّة، وكلّل عهده بالرّخاء الاقتصادي العميم الذي أسهم كثيرًا في رقي النّهضة الحضاريّة في شتّى المرافق، فشهدت النّهضة التّعليمية في عهده تطوّرًا كبيرًا.

اتسمت سياسته الخارجيّة بالتّواصل مع الثّوابت السّعوديّة التي قرّرها الملك عبدالعزيز عند تأسيس المملكة والمتمثّلة في حماية الدّولة، والتّمسك بتعاليم الإسلام، والاحترام الكامل

لمبادئ ميثاقي جامعة الدول العربيّة، وهيئة الأمم المتّحدة[٦]. وفجع المسلمون والعرب بل العالم أجمع بوفاة الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود (رحمه الله) صباح الأحد ٢١ شعبان ١٤٠٢هـ/ ١٣ يونيو ١٩٨٢م. كما ضرب الملك خالد أروع الأمثلة في العمل بالقرآن والسّير على هديه، والتّحلّي بأخلاقه، فكان صالحًا في نفسه، ساعيًا جهده إلى إصلاح غيره، رحيمًا حنونًا، شأن الملوك الصّالحين، وهو يرى أنّ العمل بالقرآن هو الأساس الصّحيح الذي ينبني عليه المجتمع المثالي. وأُشرِب الملك خالد حبَّ القرآن وأكرمه الله بحفظه على ما جرتَ به عادة أبناء الملك المؤسّس، وأقبل - بكلّ حبّ وإخلاص - على العناية بهذا الكتاب الجليل؛ تقرّبًا إلى الله تعالى بعمل صالح، وسعيًا إلى نشره في ربوع الأرض.

جهوده في خدمة القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة:

شهدت المملكة العربيّة السّعوديّة في عهده الميمون عناية كبيرة بالقرآن، وشجّعت أبناءها على تلاوته وحفظه والعمل بأحكامه؛ عن طريق مدارس تحفيظ القرآن الكريم، أو عن طريق الحصص الدّراسية المتخصّصة بالقرآن الكريم التي يتلقّاها طلاّب المملكة وطالباتها في مدارس التّعليم العامّ وجامعات التّعليم العالي، أو عن طريق الكلّيّات والأقسام المتخصّصة بدراسته في جامعات المملكة، أو عن طريق الجمعيّات الخيريّة لتحفيظ القرآن الكريم.

(٦) تذكرة أولي النهى والعرفان، لإبراهيم بن عبيد، ٤/٤١-٤٨؛ الأطلس التاريخي للمملكة، دارة الملك عبدالعزيز، ص٢٤٦.

واتّضحت مظاهر عناية المملكة العربيّة السّعوديّة بالقرآن الكريم في عهد الملك خالد (رحمه الله) من خلال توفير المطابع لطباعته، وترجمة معانيه إلى لغات مختلفة، وتوزيعها على المسلمين في جميع أنحاء العالم(٧). وحظيت مدارس تحفيظ القرآن باهتمام عظيم في عهده، لما لها من أهميّة في تكوين الفرد المسلم الذي سيجني أرباح صحبته لكتاب الله عزّ وجلّ في الدّنيا والآخرة، وهو ما كانت تهدف إليه المملكة بقيادة رجلها الأوّل حينئذ الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود (رحمه الله تعالى)(٨).

أدركت المملكة العربيّة السّعوديّة أهمّيّة المسابقات القرآنيّة في جذب الشّباب المسلم، وترغيبه في حفظ كتاب الله الكريم، والإقبال عليه حفظًا وتدبّرًا وعناية ودراسة، فأنشأت عدة مسابقات قرآنيّة في عهد الملك خالد (طيّب الله ثراه) هي الأولى من نوعها في المملكة، وقدّمت المساعدات الماليّة والعينيّة لإقامة مثل هذه المسابقات فيما تيسّر من ربوع العالم(٩). واهتمّت المملكة في عهده بإذاعة القرآن الكريم التي تقدّم برامج دينيّة منوّعة في التّفسير والحديث، وندوات قيّمة، ومحاضرات نافعة، وبرامج فكريّة مفيدة. وشهد عهده إقبالاً على القرآن الكريم يفرح له المؤمنون، وأثمر ذلك جيلاً من حفظة كتاب الله، يتلونه حقّ تلاوته.

(٧) مجلة التضامن الإسلامي، ٦٨/٧؛ مجلة المنهل، مجلد ٤٠، ص٧٠٦.

(٨) حفظ القرآن وتعليمه، لحمد بن ناصر العمار، ص١٨؛ مجلة المعرفة، العدد ٨٥، ص١٦.

(٩) المسابقات القرآنية المحلية والدولية، من بحوث عناية المملكة العربية السعودية بالقرآن وعلومه، لعبدالعزيز ابن عبدالرحمن السبيهين، ص٣٢.

وفي عهده تمّ افتتاح بعض الكلّيّات والأقسام العلميّة التي تعنى بالقرآن الكريم وعلومه[١٠]. كما تعدّ السّنّة النّبويّة المصدر الثّاني من مصادر التّشريع، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة في الحثّ على اتّباع الرّسول ﷺ وطاعته، والتّحاكم إلى الكتاب والسّنّة عند الاختلاف؛ ولذا أولاها (رحمه الله) عناية عظيمة. وارتبط قلب الملك خالد بالحرم المكيّ الشّريف، وعاش مدة من حياته في مكّة المكرّمة، فكان يحبّ الذّهاب إلى الحرم وسماع القرآن ودروس أساتذة العلوم الشّرعيّة في أروقته، وكان مرهف الحسّ تدمع عيناه وهو يسمع تفسير آية، أو لقطات من السّيرة النّبوية. وأكّد مرارًا على أنّ السّنّة النّبويّة مع القرآن الكريم هما مصدرا الحكم والتّشريع في هذه المملكة المباركة.

اهتمّت المملكة العربيّة السّعودية بالسّنة النّبويّة الشّريفة، وأخذ اهتمامها بها في عهد الملك خالد (رحمه الله) عدّة مظاهر، أبرزها الاهتمام بتدريس فنونها من خلال كليّات عدة، ودفاعًا عنها بردّ شبهات الطّاعنين فيها، وتأليفًا في علومها، ونشرًا للمؤلّفات فيها. وشهد عهده اهتمامًا بارزًا بالسّنّة النّبويّة، وليس ما نراه اليوم من هذا الإقبال الشّديد عليها ونشر نوادر كتب السّنّة إلاّ امتداد لتلك المدة الزّاهرة، فلا جرم أن بارك الله تعالى في هذه المملكة العزيزة السّائرة على هدي سيّد البريّة[١١].

(١٠) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في (٤٠ عامًا): ص٨٨.

(١١) جريدة الجزيرة، العدد ٣٥٧٢؛ وثائق وكالة الأنباء السعودية، ص٧٠؛ الدعوة في عهد الملك عبدالعزيز، للشثري، ص٦٦.

غبط العالم بأسره هذا التّلاحم العجيب بين ملوك هذه الدّولة المباركة وأمرائها من جهة، وعلمائها وأعلامها من جهة أخرى. ولقد وفق ولاة أمر المملكة العربيّة السّعوديّة في كلّ عهودها الزّاهرة إلى تقريب العلماء، والاستعانة بهم، والاستنارة بآرائهم، وما يميّز عهد الملك خالد (رحمه الله) أنّ استعانة الدّولة بالعلماء في عهده كانت واضحة جليّة، من خلال عدّة أمور أهمّها الثّقة بالعلماء وتقديرهم وتعيينهم في المناصب العليا، والاستعانة بهم في صياغة الأنظمة ومشورتهم في كثير من القضايا.

واهتمّ الملك خالد بالمعاهد العلميّة التي وضع نظامها الشيخ محمّد بن إبراهيم (رحمه الله) مفتي المملكة الأسبق ومن عاصره من العلماء السابقين، وكان نظامًا دقيقًا لتلقّي العلوم على أيدي المشايخ بالمساجد، وقد أثبت هذا اللّون من التّعليم قدرته على نشر ذخائر الشّريعة الإسلاميّة، وثبات العقيدة الصّحيحة، وحفظ لغة الضّاد التي نزل بها القرآن الكريم(١٢).

جهوده في خدمة العلم الشّرعي وأهله:

بذل جهودًا مشكورة في خدمة العلم وأهله، وكان يرنو من وراء ذلك إلى خدمة الشّريعة الغرّاء، فلا جرم أن حظي بجائزة الملك فيصل لخدمة الإسلام عام ١٤٠١هـ، وقد جاء في قرار لجنة الاختيار مبرّرات منحها لجلالته بها لعدّة أمور

(١٢) موسوعة التعليم بالمملكة العربية السعودية، لعبدالعزيز عبدالله السنبل، ٣/٥، ٣٢٠.

من أهمّها عمله الدّؤوب من أجل تحكيم الشّريعة الإسلامية ونشر الدّعوة[١٣].

جهوده في مجال خدمة الحرمين الشّريفين والمشاعر المقدّسة:

التّاريخ يشهد بصدق على عظمة العناية التي شرفت بها المملكة العربيّة السّعوديّة في خدمة الحرمين الشّريفين، اللّذين شهدا توسعة لم يكن لها مثيل في التّاريخ، وإنّ ملوك هذه الدّولة ليعتزّون بهذه الخدمة ويعدّونها قبل كلّ شيء قربة من عمل صالح يرجون بها من ربّهم حسن المثوبة، ويأملون صادقين أنّهم وفروا كلّ وسائل الرّاحة في مكّة والمدينة، أعزّ مدينتين في قلوب أهل الإسلام. وتشرّف الملك خالد (رحمه الله) كسائر ملوك الدّولة السّعوديّة بخدمة الحرمين الشّريفين، وعرفت مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة في عهده الميمون جهودًا عظيمة[١٤].

أنجزت الدّولة في عهد الملك خالد (رحمه الله) أعمالاً جليلة في المسجد الحرام، منها التّوسعة التي يشهد العالم على عظمتها، مع ما صاحبها من تحسينات في شتّى مرافقه، وإنّ عهد الملك خالد (رحمه الله) لانطلاقة جديدة فرح لها المسلمون في شتّى بقاع الأرض، وقد تلاها في عهد أخيه خادم الحرمين الشّريفين الملك فهد بن عبدالعزيز (رحمه

(١٣) موسوعة التعليم بالمملكة العربية السعودية، لعبدالعزيز عبدالله السنبل، ٥/٣، ٣٢٠.

(١٤) الحرمان الشريفان، التوسعة والخدمات خلال مائة عام، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ص٢١.

الله)، وعلى دربهما يمضي أخوهما خادم الحرمين الشّريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، حفظه الله تعالى، يسّر له مبتغاه، وزاده توفيقًا فيما خطّط له وارتآه(١٥).

جهوده في خدمة الدّعوة إلى الله تعالى في الدّاخل والخارج:

عاش الملك خالد قبل تولّيه الحكم حياة رجل مؤمن صادق في إيمانه، محبّ للدّعوة، حريص على إيصال الخير إلى النّاس، حتّى إنّه عرف إبّان فترة ولايته للعهد باسم "الأمير الهادئ" لهدوء كان فيه يدلّ على رويّة حسنة، واتّزان ينمّ عن عقل كبير، وكان (رحمه الله) يمضي أوقات فراغه في التّعبّد وقراءة القرآن الكريم، وهذا يدلّ على مسلك حسن في الانفراد عن الخلق، للتّفرّغ لعبادة الحقّ. ولبث الملك خالد (رحمه الله) على هذا المسلك بعد تولّيه الحكم، شأن الملوك الصّالحين الذين إن مكّن الله لهم في الأرض حكّموا الشّريعة، واشتغلوا بالدّعوة، وسعوا إلى تحقيق مصالح الرّعيّة(١٦).

لقد أدرك الملك خالد (رحمه الله) واجبه تجاه الدّعوة إلى الله باعتباره ملكًا لدولة ترفع راية التّوحيد، وتتّخذ من الكتاب والسّنّة نهجًا لها، فكان نموذجًا فريدًا للملك الدّاعية إلى الله بسلوك حسن رفيع، وأقوال مؤثّرة مفعمة بتعاليم الإسلام. مع أنّ أعظمَ ما كان يدعو إليه الملك خالد (رحمه

(١٥) الحرمان الشريفان، التوسعة والخدمات خلال مائة عام، الرئاسة العامة لشؤون المسجد الحرام والمسجد النبوي، ص٢١.

(١٦) تتمة الأعلام، لمحمد خير رمضان يوسف، ص١٥٩.

الله) ويردّده في مجالسه، ويكثر الحديث عنه في المناسبات الدّعوة إلى توحيد الله، والبعد التّام عن أيّ مظهر من مظاهر الشّرك المحبطة للأعمال، وهو - لثاقب نظره - ينبّه إلى أهميّة صلاح العقيدة في ثبات أركان الملك.

يمكن القول بكلّ ثقة إنّ خالدًا (رحمه الله) كان ملكًا حكيمًا، وداعية إلى التّوحيد بصيرًا، فلا جرم أن كتب الله له حُسْنَ الذِّكْر شأن كلّ من رفع راية التّوحيد قديمًا وحديثًا. ولم ينس (رحمه الله) مع الدّعوة إلى التّوحيد أن يهتمّ بالدّعوة إلى الشّريعة تحكيمًا لها في سياسة الشّعوب، وتطبيقًا لأحكامها وآدابها في النّفوس، ومن أعظم ما اشتهر به في أوساط النّاس محافظته الشّديدة على الصّلاة وأدائها في أوقاتها مع الجماعات، يشهد بذلك المقرّبون منه(١٧).

تميّزت مملكتنا الحبيبة في عهد الملك خالد في جميع ربوعها بكثرة مساجدها المرتفعة مناراتها في أفق السّماء، معلنة يوميًا كلمة التّوحيد، داعية إلى الصّلاة، مرغّبة في الفوز والفلاح. ولا يدرك عظمة هذه النّعمة إلاّ من ارتحل وشاهد البلدان، وعاين بنفسه قلّة ما فيها من مساجد، حينها يرفع يديه داعيًا لمؤسّس المملكة وأولاده الملوك الميامين الذين بذلوا جهودًا جبّارة، حتّى صارت المساجد بهذه الكثرة التي يفرح لها المؤمنون(١٨).

(١٧) مختارات من الخطب الملكية، دارة الملك عبدالعزيز، ٢/٥٦-٥٤؛ جريدة أم القرى، العدد ٢٧٩٠.

(١٨) نماذج من جهود حكومة المملكة العربية السعودية في بناء المساجد داخل المملكة، وزارة الشؤون الإسلامية، ص٢٠.

ومن دلائل فطنة الملك خالد (رحمه الله) في جانب الدّعوة استغلاله للصّروح العلميّة - وفي مقدّمتها الجامعات - لإنشاء ما يمكن أن يساعد في نشر الدّعوة، وإيصالها إلى أكبر عدد ممكن من النّخبة العلميّة من شباب هذا البلد المعطاء[١٩]. وأنشئت رابطة العالم الإسلامي، هذا الصّرح الدّعوي العملاق في بلد الله الحرام مكّة المكرّمة، في ١٤ ذي الحجّة عام ١٣٨١هـ، وهي منظّمة إسلاميّة سياسيّة واجتماعيّة تهدف إلى تبليغ دعوة الإسلام، والدّفاع عن المسلمين، والحفاظ على هويّتهم خاصّة في البلاد التي يعتبرون فيها أقليّة.

وقد كان للمملكة العربيّة السّعوديّة دورها البارز في تأسيسها ودعمها وتطويرها وإظهار نشاطاتها بشكل ملحوظ[٢٠]. وتميّز عهد الملك خالد (رحمه الله) بنقلة نوعيّة بلغت فيها التّكنولوجيا العالميّة مستوى رفيعا، من الفعاليّة والتّطوّر، وصار جهاز الكمبيوتر عنصرًا أساسيّا في معظم مجالات الحياة، وقد سهّل ذلك كلّه استفادةً مثلى من أحدث ما عرفته هذه التّكنولوجيا في مجال الدّعوة، واشتدّ عضد هذه الوسائل الحديثة بالدّوريّات والمجلّات.

بذل الملك خالد جهودًا مباركة في الدّعوة ساعدت على انتشار التّديّن الصّحيح في ربوع المملكة الحبيبة، وعلوّ

(١٩) دليل القبول، نشرة أصدرتها جامعة أم القرى عام ١٤٢٣هـ، ص٢-٣.

(٢٠) دور المملكة العربية السعودية في إنشاء المنظمات الإسلامية ورعايتها، ص٢٢؛ المنظمات الدولية الإسلامية والتنظيم الدولي، للجويبر، ص٣٨٨ .

مظاهر الشّريعة في المجتمع، فضلاً من الله ونعمة على هذا الملك الصّالح الذي حقّق الصّلاح في نفسه فحقّق الله له الصّلاح في رعيّته.

إنّ الملك خالدًا (رحمه الله) قد وفّق إلى الجمع بين إدارة شؤون الحكم، والدّعوة إلى الله تعالى داخليًا وخارجيًا، والمتأمّل في حياته يلاحظ أنّ الدّعوة كانت هاجسه، ولا تكاد تمرّ فرصة إلاّ وذكّر بأهمّيّتها[٢١].

جهوده في مجال العمل الإغاثي في الدّاخل والخارج:

إنّ المملكة العربيّة السّعوديّة دولة ذات ريادة في العمل الإغاثي، وقد وفّقت في عهد الملك خالد (رحمه الله) إلى إنشاء هيئة الإغاثة الإسلاميّة التي انبثقت من رابطة العالم الإسلامي.

وقد اختطّت هذه الهيئة لنفسها جملة أهداف نجملها فيما يلي:

١ - تقديم الغوث للمحتاجين شعوبًا وجماعات حيثما وجدوا حين تحلّ بهم الكوارث في أنفسهم أو ممتلكاتهم.

٢ - تقديم ما يمكن أن يقي الناس (بإذن الله) شرّ الكوارث ويرفع من مستواهم عمومًا بقصد الحفاظ على كيانهم ووجودهم.

٣ - الاهتمام بالأقلّيّات المسلمة وتنمية مجتمعاتهم بالتّعليم وغيره.

٤ - تقديم الدّعم المعنوي والمساعدات العينيّة والنّقديّة للفقراء والمعوزين من المسلمين.

---

(٢١) هذه بلادنا، الإصدار الأول لوزارة الإعلام في المملكة العربية السعودية في عام ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٥ - تقديم الرّعاية للفقراء من الأرامل والعجزة والأطفال والأيتام.

٦ - وإنشاء وإدارة المستشفيات والمستوصفات في المجتمعات المحتاجة إلى ذلك.

٧ - التّنسيق والتّعاون مع الهيئات الإسلاميّة العاملة في الإغاثة والهيئات العالميّة الخيريّة[٢٢].

ومن المجالات الرّحبة في العمل الإغاثي السّعي إلى حقن دماء المسلمين والصّلح بين الأطراف المتنازعة التي تجرّ نزاعاتهم الحربيّة عادة إلى كوارث إنسانيّة، وقد كثّف الملك خالد (رحمه الله) جهوده الدّبلوماسيّة لوقف الحرب العراقيّة الإيرانيّة عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م)، وطرحت المملكة في هذه المدة مشروعًا رائدًا يهدف إلى تحقيق الأمن الجماعي لدول الخليج العربيّة، وناشدت المنظّمات الدّولية التدخل لوقف هذه الحرب بين البلدين المسلمين الجارين[٢٣].

كما سعى الملك خالد جاهدًا لوقف الحرب الأهليّة في لبنان عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) بين مسلّحين فلسطينيّين ومسلّحين من حزب الكتائب اللّبناني، واستطاع - بتوفيق الله - احتواء الأزمة انطلاقًا من أهداف سياسة المملكة الخارجيّة المتمثّلة في تعزيز التّضامن العربي[٢٤].

(٢٢) المملكة العربية السعودية والعمل الإغاثي (حقائق وأرقام) للدكتور أحمد بن يوسف الدريويش، ص١١.

(٢٣) جريدة أم القرى، العدد ٢٨٦٩، ص١.

(٢٤) جريدة أم القرى، العدد ٢٨٦٩، والعدد ٢٩١٢.

وقف الملك خالد (رحمه الله) إلى جانب الشّعوب العربيّة والإسلاميّة من أجل نيل استقلالها الوطني، واستضاف عددًا من قادة حركات التّحرير المشروع، وقدّم لهم الدّعم المادي والمعنوي لتحقيق أمنيّاتهم، واعتراف المجتمع الدّولي بهم.

وللملك خالد (رحمه الله) مواقف سياسية أخرى ناجحة، كان من ثمراتها حقن دماء الأبرياء وتحقيق مصالحات بين المتحاربين والمتنازعين عادت بالفائدة على تلك الدّول بالتّوجّه للتّنمية والمضيّ قُدُمًا في تحقيق الأمن والاستقرار.

وللمملكة في عهد الملك خالد (رحمه الله) جهود كبيرة في مساندة الدّول المتضرّرة اقتصاديًا، وفي ذلك دلالة على شيم ملوك هذه الدّولة السّعوديّة المباركة التي تعوّدت على المبادرة إلى إغاثة شعوب العالم في نكباتهم، ومواساتهم في مصائبهم، وكان لهذا آثار حميدة في تحسين صورة الإسلام لدى الأمم الأخرى التي أثّر الإعلام المتعصّب في عقولهم حتّى ارتسمت فيها صورة مشوّهة عن الإسلام والمسلمين، كانت لتبقى أمدًا أطول لولا مثل هذه الأعمال الإغاثيّة المباركة التي تقوم بها المملكة قديمًا وحديثًا.

وتقديرًا لجهود الملك خالد (رحمه الله) في توطيد الأمن والسّلام والإغاثة فقد مُنِحَ عدّة جوائز عالميّة[٢٥].

(٢٥) الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود، دراسة تاريخية، لنوال الخياط، ص٧١.

موقفه من حادثة الحرم المكّي الشّريف:

إنّ إدارة الدّول وسياسة شعوبها أمر صعب للغاية، ولا يدرك هذا إلاّ من خبر شؤون الحكم من الملوك والسّلاطين والأمراء والولاة، أو رجل سبر أغوار التّاريخ وعرف أخبار الدّول المتعاقبة، واستوعب الصّراعات السّياسيّة التي أرهقت الدّول، وفداحة الخسائر في الأرواح والأموال النّاجمة عن الحروب والفتن.

إنّ رجالاً يغمضون أعينهم عن مكاسب حضاريّة تحقّقت للمملكة العربيّة السّعوديّة التي ينعمون بخيراتها الوفيرة، ويتفيّؤون بظلالها المديدة، في ظلّ تحكيم منقطع النّظير للشّريعة الإسلامية، وسلوك حازم للملّة التّوحيديّة، ويعمدون إلى ما يحسبونه - لقصور نظرهم وضيق عطنهم - أخطاء في سياسة الحكم، مضخّمين شأنها، ناشرين لها - تلبيسًا - بين أوساط العامّة، قادحين لفرط جهلهم في حقوق وليّ الأمر، لَهُمْ بحقّ أصحاب بلاهة في التّفكير، وسذاجة في النّظر، وسطحيّة في الفهم، والتّاريخ يشهد أنّ أمثال هؤلاء دعاة فتنة وشداة فساد. وإنّ ظاهرة "الخوارج" لشاهد صدق على ما يمكن أن يجرّه الجهل والسّذاجة والتّهوّر والحمق والطّيش من فتن تذهب معها الأرواح، وقلاقل تنتهك فيها الأعراض، وبلابل يزول بسببها الأمن على النّفوس والأموال؛ ولهذا كان الإسلام حازمًا للغاية في قطع دابر هذه الظّاهرة، ووسم أصحابها بالضّلال والغواية[٢٦].

(٢٦) طاعة ولي الأمر، للدكتور أحمد بن يوسف الدريويش، ص٢١، ٢٣، ١١٧.

كما إنّ الشّريعة الإسلاميّة كانت حازمة للغاية تجاه طائفة الخوارج، ويتجلّى ذلك بجملة أمور أهمّها:

أ - ذمّهم والتّحذير منهم والتّنبيه على عدم الاغترار بصلاحهم الظّاهر.

ب - بيان سوء عاقبتهم في الآخرة.

ج - بيان أنّهم شرّ الخلق والخليقة.

د - إدراج علماء الإسلام الأصل العظيم "طاعة وليّ الأمر"، والتّحذير من فعل الخوارج في كتب أصول الدّين.

هـ - الإخبار باستمرار خروج الخوارج إلى آخر الزّمان[٢٧].

واتّخذت المملكة العربيّة السّعوديّة في ظلّ قيادة الملك الصّالح خالد بن عبدالعزيز آل سعود (رحمه الله) في حادثة الحرم المكّي موقفًا شرعيًا كلّه حزم وشجاعة وعلم وديانة. وأنّ أحدهم يدّعي - إفكًا وكذبًا - النّبوّة، ولا نبيّ بعد محمّد ﷺ، وآخر يزعم أنّه المهدي المنتظر ويتّخذ لبوس المهدويّة مطيّة ليخرج على وليّ أمر المسلمين، وثالثًا يتوشّح بصفة الإصلاح ويتّخذ له منبرًا إعلاميًا في جنح الظّلام يدعو من خلاله إلى شقّ العصا، وإشاعة الفرقة والفتنة، وكلّ هذه الدّعاوى "التّنبّؤ والمهدويّة والإصلاح وما شاكلها" مطايا يتّخذها رؤساء الفتن يدعون بها النّاس إلى نار جهنّم، ولا نجاة إلاّ بالبعد عنهم والاستمساك بجماعة المسلمين وطاعة وليّ الأمر. فقد وفّق

(٢٧) السياسة الشرعية، لابن تيمية، ص٧٤؛ اعتقاد أهل السنة، للألكاني، ١/١٧٧.

الله الملك خالدًا (رحمه الله) إلى تطهير المسجد الحرام من أدران هذه العصابة، وحافظ ما استطاع على أرواح المسلمين وعلى سلامة بيت الله الحرام من أن يلحق بهما ضرر.

سجّلت مواقف جليلة للملك خالد (رحمه الله) تجاه هذه الفتنة العمياء التي وفّقه الله لإخمادها وإقامة حدود الله في أصحابها. ومن فضل الله على المملكة العربيّة السّعوديّة أن قيّض لها هؤلاء الملوك الصّالحين من ذرّيّة الملك عبدالعزيز الذين يسيرون بها خطى حضاريّة رائدة، رافعين فيها راية الإسلام، ومستمسكين بهدي سيّد الأنام، ووراءهم جحافل من أهل العلم والمعرفة والفضل والسّياسة[٢٨].

جهوده في مجال الحسبة (الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر):

يسعى الإسلام بتشريعاته المتنوّعة - في أحكامه وآدابه - إلى المحافظة على نقاء المجتمع من أيّ مخالفات تصادم الشّرع الحنيف، وبالمقابل يحثّ أتباعه على نشر الخير وأحكام الشّريعة وآدابها، وبهذين الأسلوبين ينعم المجتمع بالطّمأنينة والأمان. وإنّ أهل الاحتساب القائمين بهذه الوظيفة الدّعويّة الجليلة (الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر) لعلى ثغر عظيم في المجتمع، وهم درع واق يحجز أهل الفساد، ويردع أهل الشّرّ والعناد.

إنّ جهود المملكة في الحسبة هو امتداد لجهودها في خدمة الإسلام والدّعوة إليه، والأمر بالمعروف والنّهي عن

(٢٨) مجلة اليمامة ، شهر محرم ١٤٠٠هـ؛ وانظر: طاعة ولي الأمر وأثرها في تحقيق أمن الوطن، ص٤٣-٤٤.

المنكر وسيلة شرعيّة تهدف إلى إحياء أحكام الشّريعة وآدابها، وإماتة المنكرات بأنواعها وأشكالها، وفي هذا الإحياء تجديد للدّين في النّفوس، وتلك الإماتة إخماد للشّرّ الذي يسعى إبليس وجنوده إلى ظهوره في المجتمع وشيوعه بين الأفراد.

وفي سبيل توسيع نطاق الحسبة في المملكة العربيّة السّعوديّة، وتحقيق أمثل للأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، كان طبيعيًّا تنظيم الاحتساب تحت إشراف الدّولة من خلال إدارة متكاملة ليتسنّى لها أداء أعمالها على أكمل وجه[٢٩]. وكان لتلك الإدارة في عهد الملك خالد (رحمه الله) تنظيمات عدّة، أهمّها نظام هيئة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

وحظيت الحسبة في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز (رحمه الله) باهتمام كبير؛ نظرًا لدورها العظيم في انتشار التّديّن في أوساط المجتمع، والحيلولة دون وقوع أفراده في المحفوظات الشّرعيّة. كما إنّنا نطمئن كلّ متوجّس خيفة من هذه الهيئة المترصّد لأفرادها بعض الأخطاء، ونذكّره بما تعاني منه كثير من الدّول - بسبب تعطيل شعيرة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر - من فساد عريض وتدنٍّ رهيب في مستوى الأخلاق، وإهمال واضح لشعائر الإسلام، ومن ابتلي بالأسفار شاهد من المناظر المنافية للشّريعة ما يزيد في نفسه يقينًا بفضل هذه الدّولة المباركة التي اتّخذت من

(٢٩) التطبيقات العملية للحسبة في المملكة، للبقمي، ص٢٣؛ جريدة أم القرى، العدد ٢٦٠٣.

التّوحيد شعارًا، ومن الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر منارًا، فأغدق الله عليها أمنًا وقرارًا، ووقاها أوبئة وأشرارًا.

اللّهمّ ارحم الملك خالدًا، وارفع مقامه في علّيّين، وتقبّل منه ما بذله من جهود في خدمة دينك الحنيف.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وبفضله تختم الطّاعات، وبجوده ومنّه تنجز الأعمال المباركات؛ وبعد:

فهذه جملة من النّتائج المهمّة والتّوصيات الضّروريّة التي خلص إليها بحثنا هذا الموسوم بـ(حياء الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود (رحمه الله) في خدمة الإسلام):

١ - يعدّ الملك خالد أحد أفراد الأسرة العربيّة العريقة الضّاربة في جذور التّاريخ من آل سعود الذين قامت على أكتافهم دولة التّوحيد، ورفعوا رايتها خفّاقةً منذ تأسيسها إلى الوقت الرّاهن.

٢ - نهل من حياض العلم أسوة بأسرته من آل سعود، ولقد كان القصر الملكي في عهد الملك عبدالعزيز - طيّب الله ثراه - مقصد العلماء والفقهاء الذين كانوا يعقدون مجالس علميّة فيها درر من فنون العلم وأصنافه، حظي الملك خالد بسماعها وتنمية ثقافته الشّرعيّة، وازداد بعد ذلك إعجابه بالعلماء ممّا حداه إلى زيارتهم والتّردّد على مجالسهم.

٣ - يعدّ والده الملك عبدالعزيز مدرسة قائمة بنفسها، تلقّى فيها الأمير خالد دروسًا عميقةً في الحياة ضمن صحبة طويلة مباركة مع والده المؤسّس دامت اثنين وأربعين عامًا، وهي مدة كان لها أعظم الأثر في نفس الأمير استفادة للعلوم، ومعرفةً بشؤون الحياة، وإلمامًا بفنون السّياسة.

٤ - قوّة تديّن هذا الملك الصّالح وشدّة ارتباطه بتعاليم الدّين عقيدة وشريعة وآدابًا، يظهر ذلك جليًا في أفعاله وأقواله وتنقّلاته وأحاديثه؛ فلا جرم أن كان وصف "الملك الصّالح" به لصيقًا، وبتوشحه كان حقيقًا.

٥ - ناصر الملك خالد جميع القضايا الإسلاميّة، وعمل الكثير في سبيل خدمة الإسلام والمسلمين، واعترافًا بجهده في خدمة الإسلام نال جائزة الملك فيصل العالميّة؛ تقديرًا لجهوده في خدمة الإسلام خصوصًا في حقل التّضامن الإسلامي، ودعوته إلى عقد مؤتمر القمّة الإسلامي الثّالث عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م)، بجوار البيت العتيق في مكّة المكرّمة، حيث اجتمع بزعماء العالم الإسلامي لمناقشة قضايا المسلمين وتوحيد صفوفهم، ورأب الصدع بين الإخوة الأشقّاء، وقد صدر عن هذا اللّقاء الإسلامي المميّز بيان تاريخي اشتهر باسم: "بيان مكّة التّاريخي".

٦ - أثبت البحث أنّ الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود (رحمه الله) قد بذل جهودًا كبيرة في خدمة الإسلام

والمسلمين، وهو نموذج فريد في هذا المجال للمسلمين عامّةً وولاة أمورهم خاصّةً، أن يحذوا حذوه في التّفاني في خدمة هذا الدّين الحقّ، وإبراز عظمته، ونشر أخلاقه وآدابه وأحكامه.

٧ - إن سعي الملوك في مصالح رعيّتهم وحرصهم على استمساكهم بدينهم هو أثمن شيء يخلّفونه من بعدهم، حتّى إنّ الألسنة لتلهج بالدّعاء لهم والتّرحّم عليهم، وأعظم به من مكسب.

٨ - مسلك الملك خالد (رحمه الله) في التّديّن والحنكة السّياسيّة في إدارة شؤون الحكم برهان واضح على إمكانيّة الجمع بين هذين المسارين الدّين والسّياسة، وهو ردّ قويّ على دعاة الفصل بينهما، وهدي ملوك الإسلام في مسيرته الحضاريّة خير شاهد على ما نقول، وملوك هذه الدّولة المباركة من ذرّيّة الملك عبدالعزيز (رحمه الله) على خطى أولئك ساروا، فنجحوا وما وهنوا ولا احتاروا.

٩ - نؤكّد بعد اطّلاعنا على كثير من جوانب حياة الملك خالد (رحمه الله) أنّ مجال الكتابة عنه باب واسع ما يزال مفتوحًا للدّارسين، ونوصي بتخصيص أطروحات جامعيّة خاصّة على المستوى الجامعي تتناول جوانب مختلفة من حياة هذا الملك الفذ.

١٠ - نقترح لأدباء الأطفال أن يتوجّهوا لكتابة قصص هادفة ترتبط بحياة الملك خالد، لتكون نبراسًا للأجيال القادمة يدركون من خلالها ما كان عليه أحد ملوك هذه الدّولة

المباركة.

١١ - نؤكّد أهمّيّة عقد ندوات وملتقيات تعنى بمسيرة الملك خالد (رحمه الله) وبيان جهوده في مختلف المجالات إبّان فترة حكمه وما قبل ذلك أيضًا.

١٢ - يؤكّد البحث على ارتباط المملكة العربيّة السّعوديّة بدين الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا، وأنّه أساس عزّها، وسرّ مجدها ونهضتها.

١٣ - وأخيرًا نبتهل إلى الله تعالى أن يجعل ما قام به الملك خالد (رحمه الله) من جهود في خدمة الإسلام والمسلمين في موازين حسناته، وأن يحفظ هذه الدّولة المباركة، ويكلأ وليّ أمرها الهمام خادم الحرمين الشّريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود وإخوانه الأمراء وأعوانه الوزراء، وأن يديم راية الإسلام خفّاقة في ربوع هذه البلاد، ويزيد أهلها تألقًا وتعاضدًا، وتراحمًا وتساندًا، إنّه وليّ ذلك والقادر عليه.